اللخميون في الحيرة *

تاريخ خمسة ملوك

٢ : امرؤ القيس الاول

٢٨٨ — ٣٢٨ م

بقلم الاستاذ يوسف بك غنيم

وزير مالية العراق السابق

امرؤ القيس البداء ، وهو — الأول في كلامهم — وهو ابن عمرو بن عدي ، وأمه ماوية بنت عمرو أخت كعب بن عمرو الأزدي (١) ، وكان يلقب ذا التاج (٢) ، ويذكر الطبري (٣) صريحاً أنه من عمّال ملوك الفرس .

والظاهر أن الأحوال السياسية أتت ملائمة لمدّ سلطانه وتوسيع ملكه ، فإنه حكم على خروج العرب من ربيعة ومضر وسائر من ببادية العراق والحجاز والجزيرة يومئذ (٤) ، ومن أعماله أنه أخضع قبيلتي أسد وغطفان وملوكهم ، وهزم مذحج ، وقاد الظفر إلى أسوار نجران مدينة ثمر وأخضع معداً ، ونظراً إلى هذه الغزوات والفتوحات دعي بعض ملك العرب كلهم ، ولما بلغ هذا الشأو العظيم من النصر والظفر دبر إدارته بحكمة وحزم ، واستعمل بنيه على القبائل ، وأنابهم عنه لدى الفرس والروم (٥) .

لا ريب فيما ارتأيناه من ملاءمة الأحوال السياسية ، وانها هي التي روجت امتداد سلطانه ؛ فنظرة واحدة إلى وضع الدولة الفارسية تحت لواء حكمه تُثبت قولنا ، فبعد وفاة بهرام الثالث تنازع العرش ابناه : نرسي وهرمز ، وانتهى النزاع بانتصار نرسي ؛ ثم أثار الحرب على دقليانس ، فاشتبكت الفرس والروم في القتال ، وانجلت الحرب عن اندحار نرسي ، وظفر الروم سنة ٢٩٧ م ، وكانت شروط الصلح ثقيلة الوطأة بترت من ملك الساسانيين كوراً كثيرة ،

---

* وارجع القسم الأول من هذا البحث في العدد الماضي من « المعرفة » .

(١) حمزة الأصفهاني ص ٦٦ و ٦٧ (٢) زيدان : العرب قبل الاسلام ص ١٩٧ (٣) الطبري ٢ : ٦٤ و ٦٥ (٤) زيدان : تاريخ الآداب العربية ١ : ٢٨ والكتابة الضربية التي تجدها بعد هذا (٥) سايكس : تاريخ بلاد فارس ١ : ٤٤١

وكانت هذه الفتنة وخيمة العقبى على نرسى ، انتزعت منه العرش والتاج سنة ٣٠١ ، أو ٣٠٢ م وبعد أن تنازل نرسى عن العرش خلفه ابنه هرمز ، وكان حريصاً على انتعاش العدل فى بلاده ، ولم يعرف شيء عن سياسته ، ولكنه لم يقم بأى عمل لاسترجاع ما فقده والده من بلاد وسيطرة ذات سنة ٣٠٩ (١) قبل أن يولد ابنه سابور ذو الأكتاف ، ولما ولد نودى به ملكاً وهو طفل فى مهده ، وبقيت الدولة الساسانية ملازمة خطه الدفاع كل مدة حداثة سابور حتى بلغ السادسة عشرة من عمره سنة ٣٢٥ ، وقد طمع فيها جيرانها وغزاها عرب البحرين ، والحساء ، والقطيف ، والديار الباورة ، مما حدا بسابور ذى الأكتاف أن يتكفل بالعرب بعد بلوغه سن الرشد تنكيله المعروف المشهور فى التاريخ ، وقد عرف امرؤ القيس كيف يستغل موقف الساسانيين وبواليهم ، فعظم أمره ، وقويت شوكته على العرب .

ولم تسكن الأحوال السياسية قبل ملامسة لامرىء القيس بن عمرو فى بلاد الروم ، إذ قامت هناك الفتن الداخلية وانصدع حكم القياصرة ، وتنازع السلطان أكثر من امبراطور واحد ، فاعتلى العرش ستة قياصرة فى آن واحد سنة ٣٠٦ م ، ونشبت حروب القياصرة آنئذ فكانت خمس حروب فى ١٦ سنة (٢) ، وتطورت حال النصرانية بصدور مرسوم ميلان سنة ٣١٣ م ، إذ اعتبر هذا المرسوم النصرانية مساوية الوثنية ، وزالت الاضطرابات فى بلاد الروم بين النصارى بظهور بدعة أريوس ، حتى تم بجمع نيقية المسكونى سنة ٣٢٥ م (٣) .

كل هذه الأحوال فى بلاد فارس ، وبلاد الروم تتدخل تبسط امرىء القيس بن عمرو فى الحكم ، وامتداد سلطانه حتى وافاه داعى الحمام وهو فى غارة فى بلاد الصناديد قد عثر الرحالة (رينه دوسو) على كتابة ضريحية هناك تدل على قبر هذا الملك فى بلاد حوران ، وهى بالخط النبطى الجميل محفوظة اليوم فى متحف (اللوفر) فى باريس ، وهى بالعربية المشوبة بتطوراتها التاريخية فنقلها إلى العربية الفصحى وهى (٤) :

(١) هذا قبر امرىء القيس بن عمرو ملك العرب كلهم الذى تمذد التاج .
(٢) وأخضع قبيلتى أسد ونزار وملوكهم وزرعهم مذحج إلى اليوم ، وقاد
(٣) الظفر إلى أسوار نجران مدينة تبع وخضع معدا واستعمل بقيه ،
(٤) على القبائل وأنامهم عنه لدى الفرس والروم ، فلم يبلغ ملك مبلغه ،

(١) الطبرى ٢ : ٦٥ (٢) شارل سنيوس : الماية الرومانية ٣٣٤ (٣) كذلك ص ٣٣٧ .
(٤) إليك هذه الكتابة الضريحية بالعربية المشوبة كما وجدت :
ا ـ ذى قيس مر القيس بن عمرو ملك العرب كله ذو أسد اتاج .
ب ـ وملك الأسدين ونزرو وملوكهم وحرب مذ حجو عكدى وجاه .

(٥) إلى اليوم . توفى سنة ٢٢٣ فى يوم ٧ بكسلول ، وفق بنوه السعادة .

إن تاريخ وفاته المذكور أعلاه فى الفقرة الخامسة من القبرية ، وهو سنة ٢٢٣ هو تاريخ تقويم بصرى عاصمة حوران ، يقابله فى التاريخ الميلادى سنة ٣٢٨ ، وهى سنة وفاة هذا الملك بحوران ، ما ٧ بكسلول فيقابله ـ على رأى جرجى زيدان[١] ـ ٧ أيلول وعلى رأى شيخو[٢] ٧ ديسمبر (كانون الأول) .

قبل أن نختم حياة امرىء القيس البدء ، نقول إنه أول من تنصر من ملوك آل نصر اللخميين بشهادة المؤرخين العرب ، كالطبرى ، وابن خلدون [٣] كما بحثنا فى ذلك فى الفصل الذى عقدناه فى « أديان أهل الحيرة » فى هذا الكتاب ، ولكن لم نقف على من ذكر خبر هذا التنصر من المؤرخين الآراميين ، واليونان ، واللاتين ، ولكننا لا نشك فى رواية العرب فى هذا الباب ؛ لما كان من انتشار النصرانية فى هذه النواحى من العراق ، وبين قبائل عرب اليمن ، كما أن النصرانية فى بلاد الروم دخلت فى عهد جديد من الزهو والازدهار ، وميل قسطنطين إلى النصرانيه دين أمه ودخوله فيها فى آخر عمره [٤] ، وقد قال أحد المحدثين [٥] فى تنصر امرىء القيس : إنه خالط الرهبان والنصارى فى العراق والشام وقدّمهم فتمكنت فيه الديانة النصرانية فتنصّر ، ونشر النصرانية فى قومه ، وحمى دعاتها ونصرهم مدة حياته .

٣ : عمرو الثانى

٣٢٨ — ٣٧٧ م

تولى مملكة الحيرة عمرو الثانى ابن امرىء القيس البدء بعد وفاة أبيه ، وكانت أمه مارية البرية أخت أملية بن عمرو من ملوك غسان على ما رواه المسعودى [٦] ، وقيل : هند بنت كعب ابن عمرو [٧] ونشأ هذا الاختلاف فى اسم أمه من اختلاف روايات المؤرخين ، وقد اختلف الرواة أيضاً فى مدة حكمه ، فالطبرى [٨] وابن الأثير [٩] قالا إنه حكم ٣٠ سنة ، أما المسعودى [١٠]

ح ـ زجور (٢) فى جبح نجران مدينة شمر وملك معدو ونزل بفيه .

ى ـ الشعوب ووكله لفرس ولروم ؛ فلم يبلغ ملك مبلغه .

ه ـ عكدى هلك سنة ٢٢٣ يوم ٧ بتسلول بلسعد ذو ولدة .

(١) العرب قبل الاسلام : ص ١٩٧ (٢) النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية ص ٤١١ (٣) الطبرى ٢ : ٦٥ العبر ٢ : ٢٦٣ (٤) شارل سنيوس : الحاضرة الرومانية ص ٣٣٢ وما بعدها (٥) الأعظمى : تاريخ ملوك الحيرة ص ٢٧ (٦) مروج الذهب ٣ : ١٩٩ (٧) حمزة الاصفهانى ٦٧ (٨) تاريخه ، : ٧٢ (٩) الكامل ١ : ١٥٨ (١٠) مروج الذهب ٣ : ١٩٩ .

فقال ٢٥ سنة ، وعلى رواية حمزة الأصفهانى [١] ٦٠ سنة ، وجعل كوسن دى برسفال [٢] مدة حكمه ٣٥ سنة ، ونظراً إلى الرواية التى اعتمدنا عليها [٣] فيكون حكمه ٤٩ سنة .

ومما يؤسف له أن التاريخ لم يزودنا بأخبار الحوادث التى تمت فى مدة حكمه الطويلة ، كما أنها نادرة جداً عن أيام خلفائه : أوس بن قلام العمليق وامرىء القيس الثانى ، وهذه الحقبة تمتد من سنة ٣٢٨ إلى ٤٠٣ ، أى نحو ثلاثة أرباع القرن .

فسكوت التاريخ عن عهد عمرو بن امرىء القيس يدلنا على أن الرجل كان حازماً محنكاً بأحوال السياسة ، إذ لبث واجماً يدبر شئون بلاده بحكمة وسداد رأى ؛ فى عهد الطاغية سابور ذى الأكتاف الذى نكّل بالعرب والمسيحيين على السواء .

٤ : أوس بن قلام

٣٧٧ — ٣٨٢ م

تبوأ عرش المناذرة أوس بن قلام بن بطينا بن جيهر بن لحيان العمليق [٤] فى فترة من التخمين ، ويقال إن السبب فى توليته ملك الحيرة ، أن أولاد عمرو بن امرىء القيس تنازعوا فيما بينهم ملك أبيهم بعد موته ، فقامت الفتن على ساق وقدم ، واضطرب حبل الأمن فى تلك الديار ، وكثر النهب والقتل ، فأقام سابور ذو الأكتاف أوساً ملكاً على الحيرة وعزّزه بالقوة والجيش ، فضرب على أيدى أولاد امرىء القيس وأخرجهم من الحيرة واستتب الأمن فيها .

فلم يرق هذا الأمر أولاد عمرو بن امرىء القيس وأصحابهم ، فتربصوا الفرصة للإيقاع بأوس واسترجاع الملك من هذا الدخيل ، فثاروا بأوس بعد حكمه خمس سنوات ، وقتله حجنا بن عبيل من بنى فاران . وقال ابن الكلب : وهو فاران بن عمرو بن عمليق ، وهم بطن بالحيرة ؛ يقال لهم بنو فاران وحجنا منهم ، فرجع الملك إلى آل بنى نصر ، وملكهم امرؤ القيس بن

(١) تاريخ سنى ملوك الأرض والأنبياء ص ٦٧

(٢) كوسن ذى برسفال : تاريخ العرب ٢ : ٥٣ (٣) زيدان : العرب قبل الاسلام ١٩٨ .

(٤) العمالقة : قبيلة من العرب العاربة البائدة ، وهم بنو عمليق ، ويقال عملاق بن لاوذ ابن إرم بن سام بن نوح ، وهم أمة عظيمة يضرب بهم المثل فى الطول والجثمان ، قال الطبرى وتفرقت منهم أمم فى البلاد ، فكان منهم أهل المشرق ، وأهل عمان ، والبحرين ، والحجاز ، وكان منهم ملوك العراق ، والجزيرة ، وجبابرة الشام ، وفراعنة مصر (عن القلقشندى : كتاب نهاية الأرب ص ١٣٠) .

عمرو بن امرىء القيس ، وذلك فى عهد أردشير ملك الفرس (١) ، وقال الطبرى (٢) قتل أوس حجنا بن عتيك بن لخم .

وذكر القرمانى (٣) أن بعد عمرو بن امرىء القيس ملك أوس بن فلام العمليق ، ثم ملك آخر من العماليق ، ثم رجع الملك إلى بنى عمرو بن عدى نصر بن ربيعة وملك منهم امرؤ القيس ، ولكن لم نقف على ذكر هذا العمليق الثانى ، الذى يلمع إليه القرمانى فى المصادر العديدة التى بين أيدينا .

٥ : امرؤ القيس الثانى

٣٨٢ - ٤٠٣ م (٤)

ويعرف بالبدن والمحرق الأول

ملك امرؤ القيس بن عمرو بن امرؤ القيس الكندى بعد قتل أوس بن فلام ، وقيل سمى بالمحرق الأول ؛ لأنه أول من عاقب بالنار فى هذه الدولة ، وكان ظالماً عاتياً فى عقاب أعدائه ، وينسب حمزة الأصفهانى (٥) إلى أن الأسود بن يعفر ذكر المحرق الأول فى شعره القائل :

ما ذا أؤمل بعد آل محرق تركوا منازلهم وبعد إياد
أهل الخورنق والسدير وبارق والقصر ذى الشرفات من سنداد (٦)

حكم إحدى وعشرين سنة وثلاثة أشهر (٧) ؛ ولم يرو لنا التاريخ عنه غير هذا . ؟

[بغداد] يوسف غنيمة

---

(١) حمزة الأصفهانى ص ٦٧ (٢) ٢ : ٧٢ . (٣) أخبار الدول وآثار الأول ص ٢٤٠ .

(٤) جعل كوسن دى برسفال حكمه من سنة ٣٦٨ إلى سنة ٣٩٠ ، واعتمدنا نحن فى هذا التاريخ على جورجى زيدان فى كتابه (العرب قبل الاسلام) والسنوات التى أثبتناها تقارب ما يقوله حمزة الأصفهانى : إن امرأ القيس حكم خمس سنوات فى زمن سابور بن سابور ، « وكان بدء حكم سابور سنة ٣٨٢ ، أو ٣٨٣ وانتهى سنة ٣٨٨ » ، وإحدى عشرة سنة فى زمن بهرام (٣٨٨ - ٣٩٩) ، وفى زمن يزدجرد بن سابور خمس سنين (٣٩٩) . وعليه ينتهى حكمه سنة ٤٠٣ م ، أو حوالى ذلك .

(٥) ذكر سنى ملوك الأرض والأنبياء ص ٦٧ .

(٦) شعراء النصرانية ٤٨١ .

(٧) ذكر الطبرى أن مدة حكمه ٢٥ سنة .